عيد فرنكلين

يعيّد اهالي هذا القطر وغيره من الاقطار الشرقية اعياداً كثيرة على مدار السنة حتى لا يخلو يوم من عيد . واذا بحثت عن هذه الاعياد رأيتها كلها للانبياء والاولياء والشهداء اي لاناس لهم علاقة بالاديان المنتشرة فيهم فلا يعيدون لفائد من القوّاد العظام ولا لعالم من العلماء الكبار ولا لرجل افاد نوع الانسان بعلمه . وقد كان هذا شأن الاوربيين ايضاً ولكنهم جازوه الآن الى اكرام العلماء كما يكرمون الاولياء ولا يزال اكرامهم لهم قاصراً على المحافل العلمية فلا يعيّد الشعب كلهُ لنيوتن او لباستور كما يعيّدون لمارفرنسيس او لمار يوسف

ومن العلماء الذين يشار اليهم بالبنان ولا يخلو كتاب في علم الطبيعة من ذكرهم بنيامين فرنكلين العالم الاميركي مكتشف كهربائية الجو ومنشئ الجمعية الفلسفية الاميركية في مدينة فيلادلفيا . وقد احتفلت تلك الجمعية بمضي مئتي سنة على ولادته بين السابع عشر والعشرين من شهر ابريل الماضي . ودعت المدارس الجامعة والجمعيات العلمية الى مشاركتها في هذا الاحتفال فلبّى دعوتها نحو مئتي نائب من اميركا واوربا وفي جملتهم السر جورج دارون الذي كان رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني في الصيف الماضي وهو ابن دارون الشهير . وقد كتب الى جريدة نايشر رسالة مختصرة في وصف هذا الاحتفال قال فيها ما خلاصتهُ

ابتدأ الاحتفال ليلة السابع عشر من ابريل فاجتمع النوّاب برئاسة الاستاذ ادغرسمث رئيس الجمعية فخطب فيهم ذاكراً نسب فرنكلين في تأسيس الجمعية الفلسفية . ثم تقدم النوّاب وسلموهُ الخطب التي جاءوا بها من قبل المدارس والجمعيات التي انابتهم عنها وكنت انا نائباً عن مدرسة كيمبردج والجمعية الملكية ودار العلوم الملكية ومجمع ترقية العلوم البريطاني والجمعية المتيورولوجية الملكية . وقد ناب النواب عن ١٢٠ من المدارس والجمعيات العلمية . وانتهى الاحتفال تلك الليلة بقيام المستر كارنجي وهو لابس حلة الرئيس لمدرسة سنت اندرو الجامعة ومنح مس ارون درجة الدكتورية وهي من نسل فرنكلين ولما منصب علمي لانها رئيسة مدرسة ردكلف التابعة لمدرسة هارفرد الجامعة

وقضي اليوم التالي والذي بعدهُ الى اليوم العشرين بتلاوة المقالات العلمية فتلي فيها ٢٣ مقالة وفي جملتها مقالات من تشمبرلين وده فريس وبكرنج وهول ولورنتز . وذكرت انا خلاصة مقالة قدمتها الى الجمعية الملكية ولم تنتشر حتى الآن

وفي صباح التاسع عشر من الشهر منحت مدرسة بنسلفانيا الجامعة رتبتها العليّة وفي جملتها

رتبة للملك الانكليز وقد ناب عنهُ في استلام براءتها السر مورتر دورند صغير انكلترا في وشنطون . ورتبٌ لدى فريس وفورتر وسركوفي وردرفورد . ثم خطب المستر كارسون معدداً ما لفرنكلين من الايادي في انشاء تلك المدرسة وسار المدعوون بعد الظهر لزيارة قبره

وفي صباح يوم الجمعة خطب المستر فورنس والامتاذ اليوت والمستر شوات الذي كان سفيراً لاميركا في لندن عن مواهب فرنكلين واعماله وكان في صدر النادي صورة فرنكلين التي غنمها الجنرال غراي من اميركا وقت الثورة الاميركية ثم اهداها الآن لورد غراي حاكم كندا الى رئيس الولايات المتحدة . وختم الاحتفال بوليمة فاخرة شرب فيها الدكتور ويّر مثل الطبيب المشهور نخب الحضور واطربنا بفكاهة حديثهِ . انتهى

وقد كتبنا ترجمة فرنكلين ونشرناها في المقتطف منذ اثنتي عشرة سنة ورأينا ان نعيد نشر بعضها الآن اتماماً للفائدة

فرنكلين انكليزي الاصل مثل اكثر الاميركيين هاجر ابوهُ الى اميركا سنة ١٦٨٥ لغرض ديني واقام في مدينة بوستن يصنع الشمع والصابون وكان في اول امره صبّاغاً ولم يكن من رجال السياسة ولكنهُ كان مشهوراً بين قومهِ باصالة الرأي فكان رجال السياسة يأتون بيتهُ ليستشيروهُ في مهامهم . وولد لهُ سبعة عشر ولداً وكان بنيامين الخامس عشر منهم والاصغر بين اخوتهِ ولما بلغ العاشرة من عمرهِ اخرجهُ ابوهُ من المدرسة وابقاهُ عندهُ يقصّ الفتائل لعمل الشمع فلم يتعلم في حداثتهِ الاَّ مبادئ القراءة والكتابة وكان مغرماً بمطالعة الكتب فقرأ كثيراً من التواريخ والترجمات

ولما رأى ابوهُ منهُ ذلك وضعهُ عند اخيهِ الاكبر وكان طبّاعاً فاتسع لهُ مجال المطالعة وتعلم الحساب والهندسة والمنطق من نفسهِ وجعل يحجُّ اترابهُ ويخصمهم في الجدل . واقتصر على اكل الاطعمة النباتية لانها رخيصة وانفق ما اقتصدهُ بذلك في ابتياع الكتب . ونظم قصيدتين وطبعهما فراجتا كثيراً لكنَّ اباهُ اضعف عزيمتهُ بقولهِ لهُ ان الشعراء لا يملكون شروى نقير فترك الشعر وعكف على النثر . واكثر من المطالعة في كتب الادب ومن التحرير والتحبير وكان يحل المنظوم ثم ينظمهُ ثم يحلهُ ثم ينظمهُ حتى ملك ناصية الانشاء وقد استفاد من ذلك كثيراً حين تولى المناصب العالية ودافع عن آرائهِ العلمية والسياسية

وانشأ اخوهُ جريدة سياسية فجعل يكتب المقالات ويمضيها بامضاء مصطنع ويرسلها اليهِ فيستحسنها وينشرها وهو لا يعلم ان اخاهُ كتبها . وقرأ الناس هذه المقالات واعجبوا بها فعلم مقدرتهُ في الانشاء . ثم انفصل عن اخيهِ وباع كتبهُ وسافر الى نيويورك فلم يجد فيها

عملاً يعمل به فانتقل الى فيلادلفيا ودخلها سفر اليدين تكاد ثيابهُ تكون اخلاقاً وجعل يطوف في اسواقها لعلهُ يجد عملاً يعمل به او بلغة من العيش يتبلَّغ بها وبعد عناء طويل استخدمهُ احد الطباعين ثم اشترك مع ابن رجل غني وانشأ مطبعة وجريدة سياسية وتعرَّف بكبراء القوم وانحاز الى الشعب ضد الحكومة واقتصر في معيشتهِ على الضروري من المأكل والمشرب وكان آية في الاجتهاد والاقتصاد وتزوج وهو في الخامسة والعشرين من عمرهِ بامرأة صاونتهُ في اعمالهِ وساعدتهُ في ارتقاء سلم النجاح

ثم اخذ يدرس اللاتينيَّة والفرنسوية والايطالية والاسبانية وبعد قليل انتظم في خدمة الحكومة وعيّن وكيلاً لمدير البريد ولما اتسعت امامهُ موارد الرزق انشأ مجتمعاً علميًّا وهو المعروف الآن بمجتمع فرنكلين وانشأ مدرسة كلية وهي المعروفة الآن بمدرسة فلادلفيا الجامعة وكان اذا شرع في عمل عامّ نافع لا ينسبهُ الى نفسهِ بل الى غيرهِ لكي لا يبقى للحساد سبيل عليهِ

وسنة ١٧٤٦ لقي رجلاً اسكتلنديًّا اسمهُ الدكتور سينس فاراهُ هذا بعض التجارب الكهربائية وكان عمر فرنكلين اربعين سنة فاعجب بها واخذ يمحّصها بنفسهِ ويتوسَّع فيها شأن كبار العقول الذين لا يكتفون بما تسلّموهُ بل تقودهم فطرتهم الى التوسُّع فيهِ وخطر لهُ من ذلك الحين ان البرق ظاهرة من ظواهر الكهربائية فانشأ رسالةً في هذا الموضوع وقدمها الى الجمعيَّة العلمية الملكية فهزأ بها المتصدِّرون في المحافل العلمية في بلاد الانكليز ولكن علماء فرنسا رحَّبوا بها وامر العلاَّمة بفون فتُرجمت الى اللغة الفرنسويَّة وشهد الملك لويس الخامس عشر التجارب المذكورة فيها فاعجب بها

وارتأى العالم ديفاي الفرنسوي ان الكهربائية التي تتولد من الزجاج تخالف الكهربائية التي تتولد من الراتينج فسمى الاولى زجاجية والثانية راتينجية فخالفهُ فرنكلين في ذلك وقال ان الكهربائية الزجاجية انما هي زيادة في مقدار الكهربائية الطبيعي والراتينجية نقص فيهِ فسمى الاولى ايجابية والثانية سلبية وعكف على درس هذا الموضوع واقام الادلة على صحة مذهبهِ وابان سبب ميل الكهربائية الى الافلات من رؤوس الاجسام وعلَّل كيفية تجمعها في القنينة الليدنية وكاد يتصل الى اختراع التلغراف الكهربائي لانهُ كان يرسل الكهربائية على الاسلاك المعدنية مسافة طويلة . واشار بان ينصب قضيب من الحديد على رأس برج عالٍ اثباتاً لما ارتآهُ من ان البرق والرعد حاصلان من الكهربائية واشار ايضاً بان تنصب القضبان المعدنية فوق البيوت وتوصل بالارض لكي تقيها من الصواعق . وكان يتنظر بناء برج في مدينة فيلادلفيا لكي يحقق ما قالهُ من ان الصواعق من نتائج الكهربائية ولكن فرغ

صبره قبل ان تمّ البرج فصنع طيارة بسط عليها منديلاً من الحرير ووضع في رأسها سلكاً معدنيًّا وربطها بخيط من الحرير واطارها في ساحة البلد وهو يوهم من يراهُ انها لا بثٍ وربط في طرف الخيط الاسفل مفتاحًا من الحديد. ومضت حصة من الوقت وهو لا يرى للكهربائية اثرًا في ذلك المفتاح فأسقط في يدهِ وعزم على الرجوع الى بيتهِ وحينئذٍ رأى السال الذي في طرف الخيط متنفشاً كما ينتفش الصوف المكهرب فادنى يدهُ منهُ فلصق بها كما تلصق الاجسام الخفيفة المكهربة فأيقن بوجود الكهربائية في الجو وبعد قليل وقع المطر وبلّ الطيارة وخيطها فزاد ايصالها للكهربائية ولما ادنى يدهُ من المفتاح وثبت شرارة الكهربائية منهُ اليها فملأ بالكهربائة قنينة ليدنية واجرى بها تجارب كثيرة

واقرّ العلماء لفرنكلين بالفضل في اكتشاف كهربائية الجو واتخذوا القضبان التي اشار بها لوقاية البيوت من الصواعق وجعلوهُ عضوًا في المجامع العلمية وقلدوهُ نياشين الافتخار وابتدأت شهرتهُ في اوربا وبلغت اميركا وطنهُ وكان قد انقطع عن الاعمال واكتفى بالمال القليل التي ذخرهُ باجتهادهِ واقتصادهِ وعكف على الدرس والتنقيب في المسائل الطبيعيَّة الاَّ ان اهل بلدهِ لم يقنعوا منهُ بذلك بل جعلوهُ مديرًا عامًّا للبريد واشتغل في غير ذلك من المصالح العامة فانشأ دار الشفاء في فيلادلفيا ورصف شوارع المدينة بالبلاط ووضع فيها الانوار وساح في اوربا مرارًا ولقي كثيرين من العلماء وبقي عاكفًا على المباحث العلمية في الكهربائية وغيرها من المواضيع الطبيعية

ولما شبت نار الثورة الاميركية بذل جهدهُ في اطفائها ولكن الحكومة الانكليزية لم تستخلصهُ بل عزلتهُ عن منصبهِ بعد ان تهكم عليهِ احد رجالها امام جمهور من اشرافها فانحاز الى الثائرين عليها وعاون وشنطون في وضع دستور الاتحاد الاميركي وذهب الى فرنسا واقنع رجالها لمساعدوا الولايات المتحدة. ثم نُصب سفيرًا لبلادهِ في فرنسا وانتخب عضوًا في الاكاديمية الفرنسوية وانشأ لها مقالة عن الشفق القطبي. ولما انقضت الحرب وتمّ الصلح بين انكلترا واميركا سعى في عقد المحالفات بين بلادهِ وممالك اوربا ثم عاد الى فيلادلفيا ودخلها شيخًا جليل القدر طائر الصيت بعد ان دخلها منذ ستين سنة وهو لا يملك شيئًا فخرجت المدينة كلها لاستقبالهِ واطلقت المدافع من القلاع ترحيبًا بهِ ودقت الاجراس من الكنائس وقابلهُ الناس كأنهُ ملك عظيم الشأن ثم انتخبوهُ رئيسًا لولاية بنسلفانيا وبقي بين الكتب والدفاتر الى ان وافتهُ المنية في السابع عشر من شهر ابريل سنة ١٧٩٠ وهو من العمر اربع وثمانون سنة ودفن باحتفال عظيم وحدَّت عليهِ الحكومة الاميركية والحكومة الفرنسوية ايضاً